تحوّلات النخب

أ.د. محمد بن سعود البشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

(٢)
مشهد الإعلاميين

(٣)
مشهد المحسوبين على الدعاة

في البدء: إشارة

مشهد النخب في تحولاتها..

يصوّر المتزلفين بالقلم..

أو المتلاعبين بالقيم..

في الكتابة عنهم:

لا نروم تسجيل حادثة معينة.. أو تفصيل واقعة محددة..

أو التعريض برموز.. أو أشخاص

وإنما نرسم صورة لعموم الفئة.. ونعرض لسمات الشريحة

فالحديث عنهم:

تشخيص للطبيعة.. وتصوير للنماذج.

فالعبرة بالمواقف لا بالأشخاص.. وهذا منهج القرآن

(١)
مشهد المثقفين

السقوط المريع

درسٌ مريرٌ، وعبرة ظاهرة، وتجربة مؤلمة للذين تدافعوا تجاه الأجنبي، وارتموا في أحضانه، وانصهروا في أُنموذجه، وتميّعوا في الولاء لدينهم وفكرهم وثقافتهم. التجربة المريرة لنُخَبنا، والسقوط المريع للمنتمين لفكرنا، مستخلَص من التصريح الأخير للرئيس الأمريكي الذي أكّد أن دوافعه في حرب بلاده على أفغانستان والعراق، وأهدافه من خلخلة البناء العقدي والثقافي لشعوب الشرق الأوسط إنما هي – بزعمه– استجابة «لأوامر من الرب» تلقاها من السماء ونفّذها على الأرض. صدع الرئيس الأمريكي بأيديولوجيته في السياسة، وأعلن للمرة الثانية أن غاياته دينية إنجيلية حين تولى كِبر الحرب على الإسلام، وقاد معاونوه الهجمة على المسلمين، أفراداً، وجماعات، وحكومات، وخطّط مستشاروه للتغيير وفق رؤى الإنجيليين وآمال المتصهينين.

إن ذلك من العدو ليس عجباً، نعم ليس عجباً أن نراه واقعاً ملموساً؛ فهو ترجمة لحقيقة أخبر بها القرآن، ومصداق لخبر حدّثت به السنة، وشاهد لأحداث مثيلة أنبأ بها التاريخ، وإنما العجب – كل العجب–، والواقع المستدعي للألم أن تتأمل حال كثير من النخب السياسية والفكرية والإعلامية التي تواطأت مع الآخر بالتأييد الظاهر والباطن لأهدافه حيناً، ودعم وسائل التغيير حيناً آخر، تأييد مصحوب بتدافع المهزوم، ودعم مسنود بتنادي المحموم، لإظهار التقرّب إلى العدو: في الاعتقاد والقول والعمل. لقد شهدنا بكل حسرة وأسى ارتماءً في أحضان الأجنبي، خوفاً من عقاب، أو طمعاً في مغنم، ذلك الركض اللاهث من أقوام من العرب، وفِئام من المسلمين نحو الأجنبي المحتل كان حصيلة انهزام للذات أثبتت شعوراً بالنفاق البيّن، والتودّد السافر، خوفاً من دائرة تصيبهم، أو طمعاً في مغنم ينالهم. أربع سنوات عجاف تقلّبت فيها أفئدة المحسوبين على النّخب، وتبدّلت فيها مواقف من نظنّهم من الصّفوة. أربع سنوات عجاف تواطأ فيها أقوام مع الأجنبي، فكانوا

معه معاول هدم للمعتقد، ووسائل تشكيك في الثوابت، وأدوات خلخلة للبناء بضمائر مهتزّة، وهُويّة متميّعة، وأفئدة متقلّبة ﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾.

هذه هي الأحداث: امتحان للمواقف، وابتلاء للضمائر، واختبار للسرائر، وقبل ذلك وبعده: اختبار للمعتقد والثوابت ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

الموالون للأجنبي.. أنتم أشد رهبة عليهم

يواجه العالم الإسلامي اليوم موجات متتابعة من العصف الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي يستهدف خلخلة البناء، وزلزلة المعتقد والتشكيك في الثوابت، بعضها سافر في المواجهة، والآخر مغلف بدعاوى ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله العذاب. وليس هذا بغريب في تاريخنا الإسلامي، لكن ما يجعل هذه الموجات التغريبية أشد وطأة علينا اليوم هو قدرتها البارعة واستخدامها الذكي في توظيف نفر من بني جلدتنا ليكونوا أدوات للأجنبي، يبلّغون رسالته، ويستميتون في الدفاع عنها، ويقاتلون بكرة وعشياً لتحقيق غاياتها. يُسخّرون أسماءهم، ويوظّفون منافذ التأثير عبر الصحافة والأثير للترويج لعقائد المستعمر وتسويق فكر المحتل. في كل يوم لهم وسيلة.. وفي كل آنٍ لهم قضية.. من يتابع

توقيت الزمان، ويحلل بعمق مضامين الرأي يجد أنهم يعملون -"بجَلَد الفاسق- لتنفيذ إستراتيجيّة الاختراق من الداخل!! هؤلاء الذين في قلوبهم مرض قويت شوكتهم بدعم المحتل، وكثر عددهم في مساحات كثيرة من عالمنا الإسلامي، وعلا صوتهم وصراخهم في المؤسسات الإعلاميّة التي تميّعت في الهُويّة، فلم تعد تفرّق -مع هؤلاء- بين حق وباطل، بل ربما شرعت لهم الأبواب على مصاريعها، لتوافق الهوى وتطابق التوجّه، حتى ولو كان ذلك على حساب ثوابت الدين والوطن!! ولئن كانت مواجهة هؤلاء، وتعريتهم، وكشف زيغهم وأباطيلهم واجبة فيما مضى، فإنها اليوم آكد في الوجوب، ولم يعد لذي دين وعقل وعلم وغيرة أن ينتبذ مكاناً قصياً يرقب المشهد ولا يراغم في تغييره بقدر استطاعته. والصدارة في المواجهة اليوم للنخب التي تحمل الهم، وتدرك حجم المسؤولية، وخطورة الموقف. وإن من ضعف الإيمان أن تنفر من كل بلد إسلامي فرقة تلاحق نتاج المستغربين -أدوات المستعمر المحتل-

تجمعه، وتحلله، وتربط أوله بآخره، ووسائله بمقاصده، ثم تعلنه، وتطلب مقاضاته ومحاكمته، أو –في أقل حالاته– الردّ عليه، وإعلام الملأ به؛ فهؤلاء لم يعد لهم رادع من دين، ولا حياء من مجتمع.. ولن يتوقف تهافت أطروحاتهم وأساليب ولائهم لثقافة الأجنبي إلا المخلصين من أبناء الأمة ﴿ **لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ** ﴾.

نُخبٌ أشدُّ نكوصاً من إبليس!!

ما يشهده مسرح الأحداث في العالم الإسلامي اليوم هو مواجهة شاملة بين الأمة بعقيدتها وإيمانها، وبين الأجنبي المحتل بجنوده وفكره وثقافته.. هي امتداد للمسير المواجهي الطويل الذي بدأ في المدينة المنورة، وفصّلت مشاهده وحقائقه سورة (آل عمران).. نراه اليوم يتكرر، باختلاف في الوسائل والأدوات، وثبات في الأهداف والغايات.

هذه المواجهة (العامة) يبذل فيها الأجنبي كل جهد، ومكر، ومكيدة، ليُلبس الحق بالباطل، ويبث الشكوك في المعتقد والثوابت.

إذا اضطُر إلى السلم والمهادنة وجه النهار، فإنه يكفر بذلك آخره، وإذا اضطُر أن يلوي لسانه بما ظاهره الخير (للإنسان) فإنه يضمر الشر والضرر، والقوس الواحدة التي يرمي بها الأجنبي وأعوانه هدفها الإصابة المتفق عليها.

هذه سنة الله في الصراع بين الحق والباطل ليستفيد

منها المسلمون دروساً تتجدّد صورها وتبقى أصولها.

ومن الدروس المؤلمة صور للنخب التي كانت أشدّ علينا في هذه المواجهة العامة من إبليس يوم بدر.

يوم بدر أعلن إبليس إجارته للعدو ونصرته إياه، فما لبث أن نكص على عقبيه، فخذله، وتركه يلاقي مصيره وحده ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ... ﴾.

أما النخب المهزومة في مواجهة اليوم فلم تكتف بالذل، والحياد المستلب للقيمة والهُوِيّة، وإنما استوّت في صف العدو، واتخذته مؤيداً وظهيراً، وهُرِعت إليه زرافات ووحداناً، فهو نكوص وانحياز.. نكوص عن الأمة، وانحياز للعدو!!

كم هي المسافة شاسعة والمفارقة كبيرة بين هؤلاء و من قال الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

صور تتجدّد، وأصول تبقى، ليعلم الله والمؤمنون: ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ !!

بل هي المفاصلة.. بكل صُوَرِها

لا ينشط الليبراليون ومن في حكمهم من أهل البدع والزيغ والضلالة إلا في حالات الضعف التي تمر بها الأمة، ولا يزرعون بذور الفجور إلا إذا هبّت ريح الأجنبي، واستوقد العدو ناره وزاد ضرامها، عندئذ يلتف حولها الأتباع، ويتنادى لها المنافقون، ويستبشر بضوئها الخونة والصابئون، فكلما أضاء لهم العدو طريقًا مشَوْا فيه، وإذا أظلم عليهم سقطوا كهشيم محتضر.

هذا هو واقع الأمة معهم في مسيرتها، على مر السنين، وتعاقب الأحداث، وتقلّب الأمور. واليوم نشهد فصلاً جديدًا من فصول المواجهة مع الليبراليين ومن لفّ لفّهم، على اختلاف في المنهج، واتفاق في الهدف والغاية، لكن واقع اليوم غير حال الأمس، فهم اليوم أشد بأسًا، وأعنف تنكيلاً، وأعلى مقيلاً، فلهم في الوصول إلى الهدف والغاية طرائق شتى في الوسيلة والمضمون.

فأما الوسيلة فقد استماتوا من أجل الهيمنة على وسائل

التغيير وأدوات التأثير.. متنفذون في دوائر صناعة القرار، ومسيطرون على آليات صياغة الرأي العام ووسائط توجيهه، ولهم في كل قناة وصحيفة سوق ومنتدى، ويرصون الصفوف، وينسّقون الجهود، ويوحّدون الراية والكلمة، حاذقون بشحذ الطاقات، ماكرون في توظيف الإمكانات، وإذا استدعى الأمر، فإنهم يطلبون الإسناد من سفارات الأجنبي وقنصلياته.

وفي المضمون كرّ وفرّ، يركبون مطية الدين بدعوى تجديده تارة، ويهجمون عليه تارات أُخر... يزايدون على الوطنية وهم أعقّ أبنائها، وألد أعدائها، ولهم في «الدين» و«الوطنية» مشارب لا يستعذبها إلا العدو أو من في قلبه مرض.

هم اليوم أشد وطأة على ديننا ووطننا وعلينا من السافر عن العداء المميط لقناع الكره والبغضاء.. بل هم قد أسفروا عن الوجوه اللئيمة، وأماطوا الأقنعة الخادعة، وجهروا بسوء الطويّة، ودناءة المنهج، وخبث المعتقد.

في مواجهة هؤلاء.. لا لقاء في منتصف الطريق، أو الإذعان والاستكانة، تحت أي من ذرائع المقاربة أو المماحكة، بل هي المفاصلة بكل صورها!!

حوافّ النهر

لا يزال أصحاب الفكر الليبرالي والسائرون في ركبه، من الرموز والتلاميذ، يتنادون للتأثير في المجتمع بأساليب شتى، وطرائق عدة، يحاولون إيهام المجتمع بأنهم كثر، وسوادهم كبير.. يزعمون أنهم يمثلون «تيـارًا» لم يعد بالإمكان التقليل من حجمه أو التوهم بعدم وجوده.

نلحظ ذلك في المنتديات الثقافية، في القنوات التلفازيّة الحكومية والخاصة، وفي الصحافة اليومية.. يعلو صراخهم في هذه الوسائل ليسجلوا حضورًا فكريًا وإعلاميًا وثقافيًا يلفت الأنظار، وتعجب لجلدهم في الترتيب والتنسيق لهذه الغاية بالليل والنهار.. يعزفون على جراح الأمـة بدعوى الوطنيّة. وينالون من ثوابت الدين باسم التسامح والاعتدال والوسطيّة.. يفعلون ذلك وهم الغلاة المارقون.. حتى ليكاد أحدهم أن يفرط من منظومة القيم، وأن ينسلخ من الثوابت بدعوى محاربة التطرف والتخلف والأحادية والإقصاء..

مثل رموز هؤلاء والمجتمع كمثل الطفيليات التي تكثر على حواف النهر.. وأفراخهم كمثل اليرقات التي تحاول أن تكبر وتتكاثر وتصرخ ليظن الواهمون أنهم يمثلون «تيارًا» لا يجوز تجاوزه.. أو رقمًا في المعادلة الفكرية لا يمكن تجاهله.. بيد أن هذه الطفيليات واليرقات التي تقتات من الطحالب القذرة على حواف النهر التي استنبتها هؤلاء العملاء أو قذف الأجنبي ببذورها علينا عبر فضاءات السماء لا يمكن أن تحيل الماء الطهور نجسًا.

لا نزعم أن مجتمعنا ملائكي، منزّه عن الأخطاء، ساكن لا يعرف التغيير، أو جامد لا يقبل التطوير.. بل نجزم أن معطيات الواقع تفرض انتفاضة شاملة باتجاه الحراك الحضاري للحاق بركب العصر، ومتغيرات الحاضر والمستقبل، لكننا في الوقت نفسه ندرك أن هذه الانتفاضة، وذلك الحراك لابد أن يَتِمّا وفق منظومة القيم التي نؤمن بها، آخذَيْن بشروط النهوض الحضاري التي تحددها ثوابت ديننا، ومعايير مجتمعنا، وملامح ثقافتنا. ولذلك فإننا نرفض أن تقود هذه الشرذمة القليلة الركب، أو أن

تأخذ بخطام الأمة لتقودها إلى التهلكة تحت مظلة المدنية المزعومة، أو بدعاوى محاكاة الآخر ومسايرته كشرط للتقدم المدّعى.

عبثًا تحاول هذه الزمرة أن يكون لها وجود، ولابد يومًا أن تصحو على لحظات فنائها، فهي نبتة خبيثة على حواف نهر جارٍ، يتدفق بصفاء الفطرة، وحماسة التدين؛ وإن وعي الغيورين، وجدّ النابهين، وجلد المخلصين كفيل بتعجيل لحظات الفناء.. سنراهم غدًا تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت.. وما ظلمهم الناس ولكن أنفسهم يظلمون.

إسكات المرتزقة

الأمة تشقى بكتابها أو تسعد.. والأقلام الناصحة التي تهتم بالقضايا لا الأشخاص لا تكتب لتقتات من مداد القلم.. بل إن الفكرة لتعتلج في صدر صاحبها حتى تخرج من بين أضلعه: صادقة، ناصحة، ناضجة، سوية، تحمل رسالة وترمي إلى غاية، وعندئذ يكون صاحبها أبعد من أن يوصف بالمرتزق، أو المتسلق، أو السمسار الذي يمتطي صهوة القلم ليثير به نقع التبعية في مزاد الفكر والمساومة على القيم والمبادئ.

وإن مما يشي ببوادر إفلاس النخب العربية، وبخاصة في كتاباتها الصحفية اهتمامها بالكتابة عن (الذوات) وتهميشها (القضايا) ، حباً في الحضور والتقرب والارتزاق. وطفت على صفحات الرأي وأعمدة الصحف.. (الكلمة المنافقة بكل تفسخها.. المداهنة المداجية.. المادحة الغاشة بكل عفنها.. وأرغمت أقلامها على الولوغ في المداد

القذر).. وجرت ألسنتها إلى الوقوع في (شرنقة المناسبات والتزلف والمدح، المستدعي لحثو التراب).

فمن هـؤلاء الكتبة من هو مرتزق بالأصالة.. ومنهم المرتزق بـالاحـتـراف، وأعـلاهـم مرتبة في هـذا السياق الذميم من جمع بين السوأتين. أما الأول فسوأته جبلة فطر عليها، وهم قلة ميؤوس منهم، وأما الآخر فسواده الأكثر، وأثـره الأخـطـر. ذلـك أنهم يخادعون الأمـة بهيئاتهم، أو بألقابهم، أو بمناصبهم، أو بغير ذلك أو جميعه.

ومكمن الـداء عندما يرتفع صرير الأقـلام وينتشر مدادها للكتابة عن (الـذوات) في المجتمع أن تغيب أو تغيب الأوليات.. وتهمش القضايا الجادة.. إذ الصحافة ليست منبراً للسير الشخصية التي تأتي في غير سياقها الصحيح، أو بما ينعكس على قضية تهم فئة أو شريحة في المجتمع. ومن شأن ذلك أيضاً أن يفقد الرأي العام ثقته ومصداقيته في مجهود كان ينبغي أن يستثمر لبناء فكر، أو تشييد حضارة، أو تقويم واقع.

ليس ذلك تعميماً.. فهناك الكثير من الأقـلام الجادة

الرصينة التي تشرق بالأمل وتبعث الطمأنينة، لكننا لا نريد أن يتسلل إلى مجموعها من يخرم القاعدة أو ينحرف عن المسير. وإنما يقال ذلك – ومثله معه – ابتغاء الارتقاء بالمهنة، والمحافظة على التصور السليم للأشياء.

إنها دعوة للقيمين على الصحف العربية – وهي مرآة الأمة – ألا يدعوا أبوابها مشرعة لتسول النخب، وتوظيف أقلامها لبناء الذوات، أو المتاجرة بالفكر على حساب القضايا، فللصحافة رسالتها، وللتسول أبوابه.

النخلة المسخ

لا تعرف علوم النبات شجرة أكثر قدرة على الضرب بجذورها في أعماق الأرض وثباتاً في وجه الريح مثل النخلة، والتي تتميز عن جميع أنواع الأشجار بشموخها وارتفاعها والمنافع المرتبطة بكل جزء فيها من الجذع إلى الثمر.

وهي الشجرة التي شرفت بورود ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ** ﴾ يقول أئمة التفسير: إن النخلة هي الشجرة التي شبه بها الخالق -جل وعلا- الكلمة الطيبة في قوله جل وعلا: ﴿ **مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء** ﴾.

وفي السنة النبوية المطهرة إعلاء من قيمة ثمار هذه الشجرة من التمور فهي غذاء ودواء ووقاية من السحر والحسد وبركة، وجاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «بيت لا تمر فيه جياع أهله» أخرجه مسلم. كل هذه

المزايا والمكانة والتي جعلت النخلة جزءًا من الثقافة العربية الإسلامية، جعلتني أشعر بشيء من الخوف وأنا أطالع غلاف كتاب بعنوان «الحرة وأمركة العقل العربي» لمؤلفه عبد العزيز بن زيد آل داود تظهر فيه صورة للنخلة وقد نحل جذعها وابيّض سعفها وشاطت أوراقها واختفت سباطات التمر، وحل محلها تفاحتان كبيرتان من ذلك النوع الذي يعرف بـ(الأمريكاني) بلونه الأحمر القاني.. فصارت مسخاً ليس فيه من النخلة التي نعرفها سوى بقايا ملامح باهتة.

وإذا كنا نعلم أن علوم الهندسة الوراثية والجينات والأحماض النووية الأمينية والتي يتفوق فيها الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص نجحت في إنتاج فاكهة وخضراوات أكبر بكثير من الحجم الطبيعي ولها أكثر من مذاق ولون، بل ونجحت أيضاً في تغيير الشكل المميز لأصناف من النباتات والحيوانات بعد تهجينها بأنواع أخرى أو حقنها بجينات تكسبها صفات وراثية جديدة.. يجدر بنا أن نتساءل هل تستطيع محاولات هندسة العقل أو إعادة

تشكيل العقل العربي والتي يتم تنفيذها عبر وسائل الإعلام الأمريكي الموجه للعرب والمسلمين بهدف تهيئته لقبول –أو بالأصح الإذعان– للسياسات والأفكار الأمريكية أن تجعلنا نرى أو نصدق أن نخلتنا يمكن أن تثمر تفاحاً؟ وأن هذا التفاح أفضل لنا، رغم كل ما ورد في فضل ثمار النخيل وبركته في القرآن الكريم والسنة النبوية، ورغم الارتباط التاريخي والمصيري للشعوب العربية المسلمة بالنخلة على مدار عصور طويلة كمصدر لطعام طيب ومنافع عديدة وباعتبارها مفردة بارزة في البيئة العربية والأهم من ذلك: هل نتقبل نحن العرب والمسلمين أن نستبدل تمر النخيل بالتفاح الأمريكاني المنشأ؟ وهل يغنينا هذا الأمريكاني الوافد عن ثمارنا القيم والأصيل؟ وإذا كنا نرفض هذا الاستبدال الذي يسلبنا خصوصيتنا الحضارية التي ترمز لها النخلة، فما هي مسؤوليتنا تجاه محاولات حقن عقول الأمة الإسلامية بجين التهجين الأمريكاني، والذي جعل النخلة مسخاً يثير الشفقة كما في غلاف الكتاب الذي أشرنا إليه؟ وهل نعرف الصورة أو الطريقة التي يأتينا بها

هذا الجين ظاهرة أو مستترة، مفروضة علينا أو متسللة إلينا.. مدعومة بقوة عسكرية كتلك التي استهدفت نخل العراق وأفغانستان أم محمولة على موجات لا سلكية تبثها القنوات الفضائية بلغتنا العربية أو يروج لها بعض أبناء جلدتنا ممن استطعموا التفاح الأمريكاني وانبهروا بالقيم الأمريكية وانطلت عليهم دعاوى الديموقراطية والليبرالية وحقوق الإنسان والمرأة، فراحوا يرددونها كببغاوات دون أن ينتبهوا إلى أهدافها الخبيثة في القفز على حضارتنا الإسلامية والسخرية من جميع مفردات تراثنا وحياتنا ومسخ الشخصية العربية المسلمة لاستيفاء فرض الهيمنة الأمريكية وتعميم النموذج الأمريكي.

وربما تكون هذه النذر أو المؤشرات على نشاط الجين الأمريكاني لإعادة تشكيل عقولنا لقبول القيم الأمريكية بديلاً عن قيمنا الأصيلة، التي تشكلت عبر قرون طويلة ما زالت لم تتجاوز أعراضها بعد الغلاف الخارجي للشخصية العربية، أو بتعبير أدق قشور الشكل والانبهار بمشاهير المجتمع الأمريكي الذين تلح وسائل الإعلام لفرضهم

كنموذج يقتدى به، إلا أن الإهمال أو التأخر في تحصين عقول أبناء الأمة ضد هذا الغزو الجيني الفكري والذي بدأ يتسلل إلى بيوتنا عبر أجهزة التلفزيون والإذاعات الموجهة ومواقع الإنترنت، يُعجّل بوصوله إلى مجرى الدم وتلافيف المخ، فتصبح صورة النخلة التي تنبت تفاحاً ليست مدهشة أو مرفوضة من العقل العربي؟!.. ووقتها قد يصبح الحديث عن التمر وفوائده وبركته وفق ما جاء في القرآن والسنة، دعوة للرجعية والتخلف.. ومتى حدث ذلك فلن يكون من الصعب بمكان اقتلاع هذه النخلة من جذورها، ليس بيد أعداء أمتنا وخصومها؛ بل وحتى بأيدي بعض أبناء المسلمين.. ذلك أن صورة النخلة المسخ لن نراها إلا إذا مسخت عقولنا وشخصيتنا العربية والإسلامية؟!

نخب (البيوت المحمية)

طلائع النخبة التي تحمل أعلى المؤهلات العلمية، وتنتسب إلى أجل الوظائف الإنسانية في بلداننا العربية تصاب بداء عضال ومرض اجتماعي يسلبها مكانتها وتأثيرها في الأوساط التي تعيش فيها.. وبخاصة تلك النوعية من النخب التي درست وعاشت في الأجواء الطبيعية للإنسان.. ومارست كل طرائق التعبير الحر عن إنسانيتها وهويتها.

مجرد أن تطأ أقدامها الأراضي العربية وتبتلعها أمعاء المجتمع نجد أن أفراد هذه النخبة يصابون بازدواج في الشخصية، يفقدهم سمات تلك الهوية التي طالما عبروا عنها وكافحوا من أجل الحفاظ عليها.. بل ناضلوا بالقلم واللسان والفعل من أجل أن تصل معانيها السامية إلى الآخرين.. شفقة عليهم.. ورحمة بهم.. وإنقاذاً لهم من المُزلات والمضلات. ما أن تعود هذه النخبة إلى أوطانها وتلبث هنيهة من الزمن حتى تتكيف مع أساليب العيش في

البيوت المحمية.. وتتعرف على فن التعامل مع الرموز.. وتفكيك الطلاسم.. وتأخذ دورها (غير) الطبيعي على المسرح الذي لا يسمح بالخروج عن النص.. ويؤكد على ضرورة أن تكون الشخصيات مستعارة - على الأقل أثناء حركتها على خشبة المسرح - وما عدا ذلك فهو شأن خاص.

وفي هذا الاستثناء تمارس النخبة دورها الطبيعي.. وعوضاً على أن تكون فترة الاستثناء وقتاً لاجتلاء الصدأ الذي علق بعقلها، وإزالة ركام الزيف الذي ملأ مساحات فكرها، نجد أن هذه النخبة تمارس نوعاً من الحنين إلى ما مضى من أيامها والقراءة المتأنية لتاريخها.. و(قد) يساورها شعور بالذنب وتأنيب الضمير إذا ما أحست بالفارق بين أمسها ويومها.. ومع ذلك كله فهي عاجزة عن أن تحدث تغييراً ليس لأن المصلحة تقتضي الانتظار والتريث.. وليس لأن ذلك من لوازم العقل والاتزان والاعتدال والتسديد والمقاربة وغير ذلك من معاني الحكمة.. بل لأنها ألفت الدور واستكانت له.. فهي أعف من أن تُسفر عن مبدأ.. أو

تعلن عن شخصية.. أو تناضل عن هوية.

إنها نخبة البيوت المحمية.. تتغذى بتربة غير التربة.. وتستنشق هواءً غير الهواء.. وتنتج ثمراً غير الثمر.

إنها نخبة البيوت المحمية.. التي تبتسم في العلن.. وتتمعّر في الخفاء.

نخبة (استحباب العمى)

أخطر مزالق العقل، ومنتهى منازل الجهل، وأحط مسالك الهلكة أن يستحب الإنسان العمى على الهدى،ويؤثر الغواية على الجهالة، ويستبدل بالرشاد التيه والضلال. وقد حكى القرآن العظيم قصة أمة بأكملها استحبت العمى على الهدى بعد أن جاءها الدليل وقامت عليها الحجة، فحلت بها عقوبة الجحود والتنكر والاستحمار: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾، على الرغم من أن الهدى المقصود في هذه الآية – كما يقول المفسرون – هو هدى الدلالة والبيان لا هدى التوفيق والاصطفاء. أي أنه تبيّن لهم بالحجة القاطعة والبرهان الساطع أن ثموداً مرسل من ربه ومبلغ عنه، فجحدوا دعوته وكذبوا به فأصابهم ما أصاب أسلافهم من العتاة المكذبين والمتكبرين.

وإذا كان عقاب من تبينت له الطريق، ووضحت له الحجة

جاء (في سياق الحديث عن قوم ثمود) بصيغ متعددة وألفاظ متنوعة مثل: الصاعقة، والصيحة، والرجفة، والتدمير، والدمدمة، والطاغية مما يؤكد عظم الذنب، وحجم الخطيئة مع أنهم لم يكفروا بعد إيمان، ولم يرتدوا بعد إسلام فكيف بمن يؤثر العمى على الهدى إذا كان هدى توفيق واصطفاء وإسلام؟!

إن من النخب الفكرية والثقافية في بلادنا من تريد تكثير سواد حملة لواء (استحباب العمى)، وتنويع قاعدة الأتباع لتشمل فئات المجتمع بأكملها، مع التركيز على الناشئة وصُناع القرار لتكتمل منظومة صياغة (جيل العمى)، باسم التنوير، وهي نخبة تجيد فن صياغة الشخصية، وتعدد الأقنعة، وتلون الغايات. تقتات في بيئة الخوف والذل والصّغار والانكسار، لكنها واضحة وصريحة في هجومها على دعاة الهدى والإنقاذ من العمى.

فهل يّعقِل تعدد أدوار هذه النخبة، وتلوّن رموزها، وتنوع أقنعتها من يملك قرار اجتثاثها؟

يوم مع (التقدميين)

آذنت الشمس بالغروب.. وقرصها الدائري الأحمر يؤذن بقدوم الليل.. القوم غرقى إلى آذانهم يناقشون قضية فلسطين.. ويتحاورون حول نشاط الفصائل الفلسطينية في الأرض المحتلة.. يقولون إنه قد جمعهم مؤتمر أسموه (المؤتمر الوطني للشبيبة الديمقراطية في الولايات المتحدة).

أفهم ما تعنيه كلمة (الديمقراطية) عند الأمريكان.. لكن الذي لم أفهمه بعد، ما يعنيه هذا المصطلح لتلك الشبيبة.. ووجدتها فرصة مناسبة في هذا الوقت لأن أفهم ما تعنيه (ديمقراطيتهم).. أو على الأقل تأكيد ما سمعته عنهم.

قلت لهم: إن الحوار شائق ومفيد.. ومحاضرنا رجل ملم بالقضية الفلسطينية إلماماً جيداً.. لكنا الآن نريد أن نصلي المغرب.. فما برنامجكم؟ وهل الصلاة جماعة؟

قال لي مقدم الندوة بعد أن صمت قليلاً وطأطأ رأسه:

يا أخي:

نحن هنا نطبق مبادئ الديمقراطية.. بل هي شعارنا.. ونؤمن كذلك بحرية الفرد (السلوكية)! وسنعطيكم خمس دقائق نوقف خلالها ندوتنا وتؤدون فيها صلاتكم.

فما صلى من المنتدين إلا قليل.

عندها أيقنت أن هـؤلاء هـم مـن يسمّون أنفسهم بالديمقراطيين التقدميين. إذ قال لي كبيرهم: إنهم يؤمنون بحرية الفرد السلوكية.

فهمت ما قاله.. لأننا في وطننا العربي تعلمنا – أو هم علمونا – فن قراءة ما بين السطور..

إنهم تقدميون على طريقة الأمريكان.. وعجبت أشد العجب لهذا الخلط في المفاهيم.. وعلمت أن صديقنا التقدمي يناضل من أجل حفنة تراب ليس إلا.. وفات عليه – أو قل تجاهل – أن صراعنا مع اليهود هو صراع حضاري.. صراع عقدي.. ومن أجل العقيدة وليس فقط على شبر من أرض.. وإننا بلا عقيدة نناضل من أجلها

شعب أجوف خالٍ من كل مقومات النصر.

يا (رفيقي):

إن التقدمية التي تدّعي هي الرجعية بعينها.. وإن تجاهلك لعامل العقيدة في النصر يمثل ضياعاً جديداً لك وللشبيبة، ضياعاً عاشه اليهود من قبلكم. وإن كنت أيها التقدمي الذي نشأت في أرض المعجزات والنبوات قد تخلّيت عن عقيدتك فإنك أيضاً قد أصبت بالغثاء والدوار وداء الخلط في المفاهيم.. فشعب فلسطين أيها (المناضل) يأبى التنازل عن هويته الإسلامية أو أن توضع حقوقه التاريخية موضع مساومة أو مفاوضة أو حتى حوار مع عدو ليس من طبعه التسامح أو التفكير في السلام، لأن ما يسمى بـ (السلام) هو خلخلة صهيونية لتركيب دولي معقد.. وعليك أيها التقدمي أن تتقدم بهويتك الإسلامية لتناضل بها ومن أجلها.. أن تكون التحدي لكل من يشوه تاريخ الإنسان المسلم في فلسطين.

ياصديقي:

إن انتصارات المسلمين ما هي إلا ثمرة الانتماء للهوية

الإسلامية.. وإن كنتم أيها التقدميون لا تقرأون التاريخ إلا من وراء نظارات (الديمقراطية) و(حرية الفرد السلوكية) أو غيرها من مصطلحاتكم فإن عليكم أن تعيدوا قراءته بتأنٍ.

الخروج عن النص

(توظيف الكلمة) وسيلة قديمة قد الأمم والحضارات البائدة التي جاء ذكر بعض منها في القرآن الكريم. والتعبير القرآني عن (توظيف الكلمة) جاء بسياق قصصي مختلف، فقد تحدث القرآن في غير موضع عن الكيفية التي لجأ إليها الظلمة والمستبدون في تضليل الأمة ومخادعة الرأي العام عندما تُكمم الأفواه، وتحكم عقد الألسنة، إلا اللُّسن التي تخفي الحقيقة خلف دعاوى الإصلاح، والخوف على الدين، وعدم إثارة الفتنة، والقضاء على الفساد.

فقد قال فرعون في محاولته لوأد الحركة الإصلاحية والتعتيم على الرسالة السماوية: ﴿ **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾. من يقرأ هذه الآية ويتدبر مضمونها، ويتأمل معناها، ويعي مغزاها، يدرك أن هذه الآية – كغيرها من آيات القرآن الكريم – لم تنزل لتحكي عن فرعون بشخصه من أجل

الإخبار فقط، بل لاستلهام العبرة منها والتدبر في المعنى الذي جاء في سياق هذه الآية، ونزل فيه قرآناً يتلى إلى أن يأذن اللّه بزوال الدنيا.

ومن المعاني المستخلصة من ركوب الظالم مطية الدعوة إلى الخير والإصلاح من أجل إجهاض الدعوة، أو المحافظة على مكتسبات شخصية، أو المبالغة في التعبير عن الولاء أو الانصهار في بوتقة القوى الخارجية، من هذه المعاني أن لهؤلاء أعواناً يفكرون عنهم، وينطقون بلسانهم، ويرصُّون الصفوف حتى لا يبين عوارهم.

وهؤلاء الذين يفكرون وينطقون وينفذون (بالنيابة) تتنوع وسائلهم بحسب ما هو متوافر عندهم، ولن ندخل في تحليل تاريخي من أجل بيان الفرق بين ماهية الوسيلة التي لجأ إليها فرعون في محاولته إيصال رسالته إلى قومه، المذكورة في الآية الكريمة السابقة، وبين الوسيلة الإعلامية المعاصرة من حيث القوة والنفاذ والسطوة والتأثير، فالعبرة بالمعنى المراد وليس بالكيفية التي يتحقق بها هذا المعنى.

ولذلك نقول: إن معنى أن يتحول الظالم إلى داعية

للإصلاح والقضاء على الفتنة هو معنى يتجدد في كل زمان ومكان، لكن الفارق الجوهري بين الماضي والحاضر هو أن الوسيلة الإعلامية المسلطة على شعوب هذا الزمان قد نجحت وتفوقت بشكل مذهل في نقل هذا المعنى والترويج له، وأدى القائمون عليها الدور الذي أنيط بهم بكل خبث ودهاء ومكر، خرج في أحيان كثيرة عن (النص) المكتوب الذي قضى مُعدُّوه سنين عدداً من أجل وضع استراتيجية فاعلة لهذه السيناريو، الذي تكبدوا من أجله عناء السفر والترحال ومشقة التجول بين المؤتمرات والقمم، والدورات، والندوات، وتبادل الخبرات. وبعد ذلك كله يخرج الإعلاميون عن النص بعد أن خامرت عقولهم نشوة (الانتصار) في القضاء على (بذور الفتنة) حتى أوجعوا الأمة بضربها في عقيدتها، لإجهاض دعوتها. كل ذلك كان ويكون و(وعين الرضا عن كل عيب كليلة).

فواعجباً لزمن يتحول فيه الظالم إلى واعظ ومرشد: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

النخب المُستلبة !!

لا أدري ما الذي استدعى ذلك المشهد القديم إلى ذاكرتي، ويمثل أمام مخيلتي بصورة تكرر كل يوم.

مشهد طالب عربي في العقد الثالث من عمره كان يدرس معنا قبل ثمانية عشر عاماً زمن البعثة في الولايات المتحدة.

أتخيله في (مركز الطلاب) يروح ويغدو في الممرات وبين الطلبة الأمريكان وهيئته في اللباس والحديث تشي باستلاب للهوية. وازدواجية في الشخصية. واضطراب في الذات. وشعور بالنقص والدونية.

شعر كث طويل مجعد

و (جينز) شوارعي مرقع مخروق عند الركبتين

يحمل حذاءه في يده

وفكر أجوف كالآنية الفارغة

وأتذكر جيداً ما قالته عن (الدكتورة الأمريكية) التي

شاهدته ثم أشارت إليه من طرف خفي قائلة: (نحن لا نحب هذا النوع من الطلاب. نحب من يحترم ذاته وثقافته).

كلما تخيلت ذلك الإنسان وهو فاغر فاه إعجاباً بالأجنبي. وتردّدت كلمات (الدكتورة) في مسمعي أشفقت عليه. ورثيت لحاله. وتذكرت والده الذي ينتظر عودته (رجلاً) واثقاً في منهجه. معتزاً بمبدئه. مدافعاً عن ثقافته. محباً لوطنه !!

مشهد ذلك (الطالب) أصبح يقلقني وقد غدا (دكتوراً وأكاديمياً) في العلوم السياسية، ومحللاً استراتيجياً تستضيفه القنوات الفضائية. يتحدث إلى الرأي العام مستصحباً (الذات المنهزمة) التي كانت معه يوم كان طالباً يهزأ به الأمريكان.

في كل مرة يظهر على الشاشة يجلد العرب، والمسلمين، والقيم، والثقافة، وقد كان من قبل (يُجلد) بعيون الأمريكان الذين يضحكون من محاولته سلخ جلده والتبرؤ من ثقافته..

وسألت نفسي:

كم نسخة من هذا السقيم (المُستلب) أبتلينا بها اليوم

في بلادنا ؟

بل هم نسخ عديدة.. تتفاوت في الدرجات والدركات:

فمنهم أحمق، أخرق، سطحي، جاهل.. يمثّل أدنى دركات المستلبين، تأثيره لا يتجاوز إعجابه بالآخر في المأكل والملبس ونمط العيش والحياة.

ومنهم من (ارتقى) في الاستلاب درجة.. يبتغي بها حاجة في نفسه، ليقال إنه (منفتح ومتسامح)، فيقع عليه الاختيار لوظيفة أو منصب، فاتخذ من (العمى في المنهج) طريقاً إلى الشهرة أو الحظوة في البلاط أو ما دونه !!

وأعلاهم مرتبة في الاستلاب من جمع الصفتين الأوليين، وزاد عليها نشراً لثقافة الأجنبي، أو دفاعاً عنها بلسان الحال والمقال. وهذا الصنف في الغيّ كثر، نراهم في شاشة الفضائيات.. وصفحات الصحف.. يطلون علينا بوجوه (كأنما أغشيت قطعاً من الليل مظلماً).. نعرفهم بسيماهم.. وبلحن القول.. بل وبصريح الموقف والعبارة.

يدعون إلى التخذيل.. وينادون بالانصهار.. باسم التقدمية والعصرانية.. فهم أشد علينا وعلى ثقافتنا من

العدو نفسه.

هذه الشخصية المُستلبة المستأجرة هي الداء العضال الذي يفتك بالمجتمعات، وهي مؤشر الانحطاط الثقافي للأمم إن لم تجد (من الأمراء والعلماء) من يأخذ على يدها ويأطرها على (الهوية) أطراً.

وإن لم يفعلوا ذلك

تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.

تجربة التَمرُّد

قال وودرو ويلسون، الرئيس الأمريكي الأسبق (١٨٥٦ - ١٩٢٤)،: (إن خلاصة المسألة في حضارتنا أنه إذا لم يتم إنقاذها بالمعنويات فلن تستطيع البقاء بماديتها، ولا يمكن أن تنجو إلا إذا سرت الروح الدينية في جميع مسامها. ذلك الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية، ويتنافس فيه رجال أعمالنا).

بيّد أنّ الثقافة لم تع هذا التوجيه، وشطحت أخلاقياتها إلى مستويات أثارت قلق العقلاء والمصلحين حتى انبعثت الصحوة الإصلاحية، تسري في مسام الحراك الاجتماعي هناك لتعيده إلى المعنويات بعد أن طغت عليه الماديات.

هي صحوة إصلاحية بمفهوم الدين والأخلاق عندهم، يقودها جيمس بيكر، وزير الخارجية في عهد الرئيس جورج بوش الأب، إذ أسس بيكر معهداً يُعنى بدراسات الدين

والأخلاق. ثم أسس بيل كلينتون (الهيئة الوطنية الاستشارية لإحياء القيم الأخلاقية)، ثم تكونت مجموعة (الآباء الغاضبون) الذين نذروا أنفسهم للإصلاح الاجتماعي ومحاربة فوضى التحرر من قيم الأخلاق والفضيلة، ثم نشطت (هيئة الاتصالات الفيدرالية) بضغوط وشكاوى من الرأي العام لمراقبة مشاهد الرذيلة وتجاوز قيم الأخلاق في وسائل الإعلام.

تجربة في التمرُّد على قيم النصرانية ثم محاولات يائسة في العودة إليها. مرحلة (التمرُّد) استمرت عشرات السنين ذاق المجتمع ويلاتها فجاهد لتجاوزها والقضاء عليها.

في نتاج بعض مثقفينا ما يشي باستيراد (تجربة التمرُّد) على قيمنا الدينية، تنبعث من أقلامهم في الصحف وحراكهم الثقافي داخل المجتمع وخارجه. معطيات الظرف الدولي كانت مطية هؤلاء في الحديث عن كل شيء .. حتى ولو لم يملكوا أدوات الحديث عن كل شيء. المتخصص في الاجتماع يتحدث عن الفتوى الشرعية، والإعلامي يفصل

في مشروعية صيام الست من شوال، والكاتب الرياضي يتحدث عن الحجاب وحقوق المرأة وتجاوز عصر الظلامية، وأستاذ التربية يحاكم العلماء والمؤسسة الدينية، ومندوب العلاقات العامة يشخص واقع الحسبة. وفي الفضائيات (عهر على الهواء) يتسلل إلى مخدع الفتاة، ومضامين تسلب ألباب الرجال. ولسان حال المثقفين: هل من مزيد؟!

إنها (تجربة في التمرُّد)، لكن بمواصفات أقوى من غيرها، إذ هي عندنا لا تكل من طرق الجدر، والنبش تحت الأسس ولكن بأقنعة: بعضها مسفر عن الهوية، وكثير منها لما يزل في (طابور التمرُّد)!!

القيم الثقافية والمرجعية الفكرية هي القاسم بين تجربتي التمرُّد: الأصلية والمستوردة ..

لكن التمرُّد المستورد يقتات - كعادته - من فضلات الآخرين.

فلتسكت أفواه المستغربين

بعد اثنين وستين عاماً رأى الكعبة.. دخل المسجد الحرام بعد منتصف الليل محرماً بالعمرة زائراً للبيت، مبتهلاً بالدعاء، رافعاً أكف الضراعة إلى الله، ودخل أفياء الحرم المكي في الثلث الأخير من الليل ورأى المشهد الإيماني:

معتمرين وزائرين يطوفون بالبيت.

ركعاً وسجداً خلف المقام.

يهرولون في السعي بين الصفا والمروة.

ظمأى على أعتاب بئر زمزم.

متهجدين يرتلون القرآن في طمأنينة وخشوع.

رفع صوته إلى السماء وهو يؤدي مناسك العمرة ليشنف سمعه بآذان الفجر، ذلك النداء الذي طالما تردد في أذنيه عقوداً من الزمن عاشها تحت نير الشيوعية ولهيب

وطأتها.

هـذا المشاعر تـحـدث عنها رجـل مسن مـن إحـدى الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي سابقاً.

قدم إلى المملكة في زيارة عمل، قابلته في الرياض، وأبدى اشتياقاً لزيارة مكة المكرمة والتعرف على المشاعر المقدسة، فبادر إخـوة أجـلاء بالاتصال على أهـل مكة ليستقبلوه، ويعينوه على أداء مناسك العمرة، والتجول في منى وعرفات والمشعر الحـرام. فلما عاد إلـى الرياض قال: لقد زرت أكثر من مائة بلد في العالم، ولكن زيارتي للمملكة تركت في قلبي ووجداني أثراً لن أنساه ما حييت، وقال: (لقد عرفت معنى أن أكون مسلماً)، وهي عبارة قالها صادقاً كادت عيناه تذرف الدمع وهو يرددها.

هـذا الزائر عضو فاعل ومؤثر في مجلس الشيوخ في برلمان تلك الجمهورية، تقلب فـي عـدد مـن المناصب الاقتصادية والسياسية، وعاش فترة من الزمن مسؤولاً في

حكومة الاتحاد السوفيتي السابق، تشبع بالنظام الشيوعي، لكن الفطرة والانتماء للإسلام لم تزل بذورها في قلبه ووجدانه، وكانت هوية لم يستطع أن يسفر عنها أو يتحدث بها آنذاك.

إن أشد ما لفت انتباهه ونال إعجابه ذلك الاهتمام بمكة (الحرم)، ومكة (المسجد)، والمشاعر المقدسة، والأمن الذي تعيشه بلاد الإسلام، وقال إن ذلك من نعم الله التي منّ بها تعالى على بلادكم، أرض الرسالة، ومهبط الوحي، وقبلة المسلمين، وقد رأيت الإسلام في الرياض كما رأيته في مكة، مساجد يذكر فيها اسم الله، والناس بين غاد ورائح لهذه المساجد، وزاد إعجابي بكم عندما تجولت في الأسواق والمراكز التجارية الضخمة ثم أغلقت المتاجر لأداء صلاة العشاء، وهي ظاهرة لم أِعهدها في البلاد العربية أو الإسلامية التي زرتها.

تجولت في شوارع الرياض الفسيحة ورأيت البنايات الضخمة، والسيارات الفارهة. وفيها النساء المحجبات.

أنتم تعيشون في هذا العالم بثقافة مميزة. بلادكم تعيش حضارة بإسلام.

هذه مشاعر زائر من الشرق. وهو مسلم لكنه ولد وتربى في ظل الثورة الشيوعية. ذكرني حديثه بوفد قدم إلى المملكة من جامعة هارفارد الأمريكية، قابلتهم في ساعاتهم الأخيرة في الرياض وسألت أحدهم:

ما الانطباع الذي تركته زيارتك؟

قال: الإسلام متجذر في حياة الشعب. أود أن يفهم ذلك مثقفو الغرب.

فهل يفهم ذلك المستغربون الذي يعيشون بيننا؟

وهل يتدبر ذلك (الرفاق)، أتباع (عفلق)، (بطرس) و(اليازجي)؟

وهل تخرس بعد ذلك الأصوات الموتورة التي تعزف على وتر (المرأة) كلما حان وقت ووقعت نازلة ؟

(٢)
مشهد الإعلاميين

(شللية).. أخطر من الحزبية

في العمل الإعلامي الحزبي - وليس في ذلك تزكية له- تطفو الأفكار على السطح..وتتعرض للنقد العلني من المجتمع..

نقد للفكرة.. وللشخص.. وللمرجعية..

الفكرة معروضة في العَلَن..والأشخاص مُسفرون عن وجوههم..

والمرجعيات - التي تُصدِّر الفكرة وصاحبها - لا تعترف بالأقنعة..

أو التواري خلف الجُدُر والحُجُب..

في (الشللية) مراوغة في الفكرة..ورموز في الشخصية.. وغموض في المرجعية..

جرثومتها تجد في صحافتنا مرتعاً للتكاثر..وبيئة للتخصيب..وميداناً لتنفيذ المهام المتفق عليها..وغير المجدولة - في الوقت نفسه -شللية تعرف أنها لا تقوى على

المواجهة..لكنها تنمو بغذائها المحلي..

أو تنشط بقُوتِها المستورد..ترقب المجتمع عن كثب.. تقتنص الفُرَص على حين غفلة من المجتمع..أو في غيبة حُمَاته..

تنقض على قضايا الأمة..وثوابت الوطن..كلما سنحت فترة من ضعف..أو تأججت نار فتنة..

في الحالة الأولى: توظيف لأخطاء المجتمع..

وفي الثانية: قفز على الثوابت والأركان..

هذه (الزمرة) تتنادى للحديث عن قضايا معينة، وكأنها ترتب أولوياتها..وتكثف الهجوم عليها..حتى تنهزم بقرار.. أو تظفر بآخر..

وفي كلتا الحالتين: يمارسون عملية اعتساف الرأي.. وخصومة المخالف..وتشويه الحقائق..

وفي هذا التشويه: قفز على المنهج..وتطاول على المبدأ.. وتجاوز في الطريق..

كل ذلك يتم بهوى مُتّبع.. أو شهوة مُطاعة..أو انحراف مبين.. يبتغي المَيْل بالأمة عن المنهج الراشد.. والمرتقى

الصاعد.. والطريق القويم..

﴿ وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا ﴾.

إعلام (النخر الخفيّ)

لست دومًا من المتشائمين، ولا يفرحني أن أكون من طائفة المحبطين، ولا المنتمين إلى فرق الناقدين، بيد أن الأجواء التي يفرضها علينا إعلامنا تجعلنا نتنفس هواءً لا ينتمي إلى مناخنا، وتجبرنا على المسير في غير تضاريسنا، وترسم لنا –قسرًا- طريقًا يقتلنا الظمأ، والماء فوق ظهورنا محمول.

هذه حالنا مع الإعلام، يصيبنا بالدّوار والغثيان، ويخنق أنفاسنا بلبوس ليس لنا، ولا يقابل هذا الطوفان إلا نزر قليل من إعلام يحاول المقاومة ليكون (البديل).

إعلامنا تتنازعه أهواء شتى، بعضها مُقولب يرمي إلى هدف وغاية، والآخر يقتلنا بالجمود الذي لا حراك فيه.

الأول: تغريبي، يجاهد في انتزاع الهوية، أو تشويه ملامحها.

والثاني: إعلام مرتزق أبله، همه الانتشار والثراء، لا

يحمل رسالة، ولا يُسفر عن مبدأ. أصحابه كبائع الصحف، يرتزق منها ولا يفقه مضامينها. باطنه أجوف، كميّت الأحياء، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

الأشد وطأة علينا (الإعلام التغريبي) ؛ لأنه الأكثر، والأخطر. يتسلل إلينا جهرة أو لواذًا، إذا هدأت الرقابة المجتمعية عليه، أطل بوجهه ورشق بالحجارة. وإذا تصدّت له أصوات الغيارى والناصحين تدثّر برداء (النقد) و(حرية الرأي)، و(حق المخالف)، أو خنس تحت الجدار ليبدأ مهمة (النخر الخفيّ) ويترقّب تصدّع البناء.

في جواب لسؤال: متى تنشطون؟

قال أحدهم:

إذا هدأ (المدّ المشيخيّ)، إشارة للعلماء!!

ينشطون إذا سكت العلماء عن فجورهم، ويخنسون إذا ارتفع صوت العلماء في التصدي لهم، وكشف باطلهم.

الذي نأمله ونرجوه:

أن يبقى صوت العلماء مجلجلاً بالحق، كاشفًا أهواء المرجفين، الجاثمين على إعلامنا، المقصين لثقافتنا،

المستهزئين بقيمنا، الحاقدين على منهجنا.

نأمل ذلك ونرجوه، لأنهم العلماء الذين إذا علا صوتهم خنست أصوات العلمنة والزندقة والتغريب.. فلا تحسّ منهم من أحد أو تسمع لمثلهم ركزًا.

من يحرس البوّابة؟

يعرف المتخصصون في الإعلام نظرية (حارس البوابة)، فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين على يد Kurt Lewin عام ١٩٧٧م، فهو الذي طوّر النظريّة، وأثبت أن الرسالة الإعلاميّة تتعرض خلال رحلتها إلى الجمهور لنقاط تفتيش، وتمحيص وتدقيق، وهي عملية تتأثر بالقوى المحيطة بحارس البوابة.

هذه النظريّة جميلة جدًا، وفاعلة جدًا، ومؤثرة جدًا، إذا كان (حارس البوابة) يعي حجم المسؤوليّة الإعلاميّة، ويدرك أهمية (فلترتها) لتتوافق مع هوية الجمهور المستهدف، وتنسجم مع قيمه وثقافته، وهي – في المقابل- تعيسة جدًا، وخطيرة جدًا، إذا استغل هذا (الحارس) وظيفته في تمرير أهوائه، أو تحقيق مصالحه، أو تطويع (البوابة) لتتسلل من خلالها الأجسام الغريبة، والأفكار الرديئة التي تقوّض المجتمع، وتنخر في بنائه الثقافي، وتهدّد هويته وفكره.

والإجابة عن سؤال من يحرس بوابتنا الإعلاميّة لن تكون محبطة، فلسنا من دُعاة (الإحباط)، أو المسكونين بالنظرة المتشائمة، بيد أن الإغراق في التفاؤل –أيضًا– هو هروب من الحقيقة وقراءة خاطئة لبعض واقعنا.

لذلك نقول: إنه – وفي الظرف السياسي والثقافي العصيب الذي تعرضت له بلادنا من منابر الإعلام الأجنبي جرّاء التحولات الدوليّة التي أحدثها صُنّاع (الصدام الحضاري) انبرى نفر من (حرّاس البوابة الإعلاميّة المحليّة) ليعلنوا قيام ثورة من التمرّد على دين الدولة وثقافتها وقيمها وثوابتها.

كان الظرف السياسي الدولي والواقع الأمني المحلي مطيّة للقائمين على الوسيلة الإعلاميّة في بلادنا ليتحدثوا عن (المسكوت عنه)، وينبشوا في ركام (الأوراق) المحترقة، ليتحدثوا فيها عن (كل شيء)، فكان (حارس البوّابة) طابورًا خامسًا يجوس خلال الديار، مستهزئًا بالدين، مُزلزلاً أركان البناء، فأصبح الوطن يحارب على جبهتين: عدو من الداخل، وعدو من الخارج.

أمّـا وقـد خبت جـذوة الـعـداء الـخارجي قليلاً، فقد آن للغيورين محاسبة هذه الفئة من (حرّاس البوابة؟) وهي مهمة مناطة بأعناق العلماء والمثقفين، لأن الساحة الآن متاحة للحجة البالغة والبيّنة اليقين.

ومن هنا فإنني أدعو إلى جمع نتائج أولئك القائمين على البوابة الإعلامية، وقراءته، وتحليله، وكشف باطله وإزالة الأقنعة عن غاياته وأهدافه ليعلم الذين ظلموا، ونافقوا، ووالَوْا أيّ منقلب ينقلبون، وإنا لذلك لمنتظرون.

صحيفة (الإمبراطور)

لا يستعجلن أحدٌ في استخلاص النتيجة.. فالمراد بـ (القصور) هنا ليس الإخفاق في الأداء.. أو التباطؤ في العمل.. أو التقاعس عن الواجب.. أو (العور) في المهنة الصحافية؛ (القصور) يعني ذلك البناء المادي الضخم، المفروش بأرقى الأثاث والمجهز بأحدث تقنيات العمل الصحافي.. المدار ببيروقراطية (الإمبراطور).. والمسيس بنزعته الفردية المطلقة في آليات العمل.. وطرائق الإنتاج.. وسياسة النشر.

هكذا حال بعض المؤسسات الصحافية في بلادنا.. يديرها السيد (رئيس التحرير) بذهنية واحدة.. الحق ما يراه.. والباطل ما يتعارض مع رأيه.. يحضر يومًا.. ويغيب أيامًا.

في حضوره إلى (القصر الصحافي).. يهرع إلى بلاطه الصحافيون.. في انتظار إشارة الرضا ليخرج نتاجهم إلى

النور.. وفي يوم حضور السيد رئيس التحرير ترتفع مقاييس التنبؤ بمزاجه.. والمحظوظ من الصحفيين من وافق (ساعة الإجابة).. فذلك يعني منتهى الحبور والسعادة.. أما (ساعة الكدر) فإنها لحظات لقرارات الحجب، والخصم، وإيقاع العقوبة، ومن كان هذه حظه من (مزاج) السيد رئيس التحرير، فإن حكاية الصحافي معه ستكون مبثوثة في أروقة المؤسسة يتجاذب تفاصيلها حتى موظف السنترال.

وفي غيابه.. تدار المؤسسة (بكاريزما) شخصية (الإمام الغائب).. فهناك ذهنيات تفكر بالنيابة عنه.. تتقمص دوره الحاضر.. وتتخيل ظله.. وتنفذ متلبسة بشخصه.. لكنها لن تفكر مطلقًا أن تعبر عن رأيها.. أو أن تتحرر من تلك الشخصية لتكون (هي ذاتها) بما تتمتع به من أهلية وكفاءة.

نعم.. هذا حال بعض المؤسسات الصحافية.. رئيس التحرير إمبراطور يدير المهمة من القصر، وما دونه من هيئة التحرير، وما فوقه من مجلس إدارة ومدير عام.. هم

رعية في هذه الإمبراطورية الصحفية.

يحدث هذا في الوقت الذي تنادي فيه النخب –عبر المؤسسات الصحافية– بحرية الرأي، والمشاركة في اتخاذ القرار.. وتوسيع دائرة الشورى أو الديموقراطية إن شئتم!! وتسريع خطوات الإصلاح.. ودعاوي العمل بروح الفريق والجماعة.

لسان السيد رئيس التحرير يقول: (ما أُريكم إلا ما أرى).. ومن رأى غير ذلك فستكون (محاكم التفتيش) له بالمرصاد!!

(ما أُريكم إلا ما أرى) لا تنعكس على العاملين في (القصر الصحافي) فقط؛ بل على الرأي العام كله الذي سيقرأ هذه الرؤية.. ولا شيء غيرها.

وها هنا الداء العضال.. إذ هي داخل المؤسسة الصحافية مشكلة إدارية ومهنية.. لكنها على مستوى المجتمع مشكلة في (التوجه) ومأساة في (الرأي).. وذلك عندما يرى السيد رئيس التحرير –وبالتالي كل العاملين معه– قضايا المجتمع برؤيته هو ويفرض على الأمة معاييره، ويحدد ما

ينشر لها وفق مقاييسه.

هي داء عضال عندما يجيش السيد رئيس التحرير جحافل الكتبة.. ويوجه أقـلام الصحفيين - طوعًا أو كرهًا- بالحديث عن قضية.. أو الهجوم على شخصية.. أو تسفيه رمز.. أو تحقير شيخ.. لتمطر حملته الإعلامية وابلاً من كلمات التجريح.. وعبارات التجهيل للثقافة ورموزها.. وليكرس نظرية (ما أُريكم إلا ما أرى).. متلبسة برداء الغيرة أو متدثرة بلحاف الوطنية..

(صحافة القصور) قضية منظورة للقلة، غائبة عن العقل الجمعي للأمة، من يع أثرها على المدى الطويل سيطالب -حتمًا- بأن تكون في أوليات «الإصلاح».. اليوم.. وليس غداً !!

رئيس التحرير.. رئيس رقباء!

من بين رؤساء التحرير في صحافتنا من يجعل نفسه وصيًا على المجتمع، بل على العلماء والمثقفين والمفكرين، وهم نوعان:

الأول: من عنده حساسية مفرطة في استخدام الرقابة، وتقمص شخصية المسؤول في الجهات ذات العلاقة بضبط حركة النشر في المجتمع.. هذا النوع من رؤساء التحرير أو من في حكمهم منْ يقرأ المادة الصحفية من العنوان إلى الخاتمة، فيحذف من العنوان أو يضيف إليه، ثم يستعرض المتن فيعدل الكلمة، أو يحذف عبارة فتنشر المادة مبتسرة السياق، ناقصة المعنى، سقيمة المبنى؛ لأن قلم الرقيب تصرّف في النص حتى يطابق مواصفات السيد رئيس التحرير ومقاييسه التي لم يصدر بها قرار، أو تقرها سياسة، أو يعتمدها نظام، وكأن المؤسسة الصحفية دار للحياكة وليست مقرًا للعمل الصحفي المهني الذي يناضل

من أجل حرية الرأي العام –فضلاً عن النُّخب- في الرأي والتعبير.

ويعظُم الأمر عندما ينظر رئيس التحرير إلى مادة شرعية تصله من عالم كبير، أو مقطوعة ثقافية يرسلها مفكر قدير، فيحجبها عن النشر بدعوى «المصلحة»، وكأنه الأدرى بها من مفكرينا، أو الأغير على الوطن من علمائنا!!

هذا النوع من رؤساء التحرير إما مصاب بداء «العظمة»، أو مسكون بعقدة «الخوف الوهمي»، جعلته يقبع في زاوية ضيقة من مساحة الحرية الممنوحة له، وقد كان المرجو منه أن يتحرك في كل شبر من هذه المساحة، بل يطالب بأكبر منها.

النوع الثاني من رؤساء التحرير هو الأقل عددًا، بيد أنه الأكثر خطرًا، إذ هو يخدم رسالة مرسومة الغايات في الخفاء، منشورة المضامين في العلن.. أبوابهم مشرّعة لكل قلم مستغرب، أو نَفَس متعلمن، أو نهج متحرر.

ينتقدون «الإقصائيين» وهم الأكثر غلوًا من الغلاة.

يرفضون «أحادية الرأي»، ويغلقون منافذ النشر على الآخرين.

يثيرون المجتمع بآراء «أغيلمة» يسلطون عليهم الأضواء، ويمنحونهم الألقاب لينفثوا من أنفاسهم المتعفنة في أجواء الفضيلة والطهر، حتى إذا توالت عليهم الردود جمعوها في «سلة المهملات» وهم يمكرون.

يحتضنون كتّابًا بأسمائهم.. وأشخاصًا بأعيانهم، ويحرصون على بقائهم لتقاسم الأدوار. أمّا كتّابهم الملتزمون معهم في المهنة، المختلفون معهم في الغاية والمنهج فإن سياسة «التنكيل طويل المدى» هي الأمثل في التعامل معهم:

تأخير في النشر..

طلبات حذف وتعديل لا تنتهي.

ليكون الملاذ: البحث عن صحيفة أخرى.

وإذا طال نَفَس الكاتب في المقاومة فهناك توجيه «غير خطي» بعدم النشر. عندها لن يصل إليه خطاب شكر، أو يسمع كلمة وفاء !!

إمبراطوريات صحفية..

تقتات من مال المواطن..

وتفرض الوصاية عليه!!

تكريس «الفجور»

ليس من شأننا أن نتتبع مؤشرات الفجور الصحافي في الإنترنت، فقد كبرت فقاعاته وتلونت، ولوثت رموزه قيم العمل الإعلامي وأخلاقياته.

وتخصيص الحديث عن ظاهرة (العهر الصحفي العام) في الإنترنت فيه إجحاف وظلم للصحافة الصفراء المطبوعة، لأن هناك من القنوات الإعلامية الأخرى من تبوأ مكانة في الأسفلين، وهي قنوات أمدت عقول الجماهير بجرعات مكثفة من الفجور صوتاً وصورة!!

أما أن تمتد حرية الفجور لتطال تأريخ الأمة وتنال من فكرها وثقافتها ؛ فذلك أمر يدق أجراس الخطر، وينذر بكارثة أخلاقية تستدعي اجتثاث جذورها، وملاحقة أبالستها، وتضييق الخناق عليهم، وكتم أنفاسهم، ومحاربتهم في كل زمان ومكان، وإنزال أشد العقوبات على أقطابها.

شاهد هذا العهر الصحفي مقالة نُشرت في صحيفة إلكترونية، يتتبع كاتبها ظاهرة انتشار الخمر في مجتمعنا السعودي المتدين ؛ ويدعي – زوراً وبهتاناً – أن كثيراً من أفراد المجتمع (خمريون) حتى النخاع، وأن سوق الخمر فيه مزدهرة، وموائده باتت من لوازم الضيافة بين فئام معينة فيه.

ويتتبع الكاتب (تأريخ) انتشار نوع معين من الخمر، ويقول إنه من (الثقافة الشفهية) التي لم يكتب عنها أو (يؤصل!!) لها.

وزعم (مؤرخ الفجور) أن أول كتابة تناولت ظاهرة انتشار الخمر في المجتمع السعودي وردت في روايات (العدامة) و(الشميسي) التي تحدث فيها كاتبها عن وجود هذه الظاهرة في عقد الستينيات الميلادية؟!

ويستدل كاتب المقالة على انتشار هذه الظاهرة في المجتمع بحقيقتين (!!) هامتين هما:

كثرة الكؤوس التي تباع في متاجر الأواني المنزلية!

كثرة من يشتري (الثلج) في عطلة نهاية الأسبوع!

هذه المقالة تنشر في الإنترنت، وقراؤها أكثر من قراء أي صحيفة عربية مطبوعة، ومضمونها فجور يشوِّه ثقافة المجتمع ويقذف أفراده بمثل هذه الصفات وغيرها.

لا نشك في أن (مقص) الرقيب يعجز عن منع نشر افتراءات فسقة الأمة ودعاة الضلالة إذا كانت الإنترنت هي وسيلة النشر، ولكن الرقابة ليست فقط على المضمون، بل على الأشخاص أيضاً.

لو أن هؤلاء كتبوا في السياسة، أو عن تجاوزات القيادات العلمانية العربية، فما عسى أن يكون مصيرهم؟!

سيؤخذون بالنواصي والأقدام، وسيسامون سوء العذاب، وتُضّيق الأرض عليهم بما رحبت جزاءً وفاقاً.

أو ليس دين الأمة أحرى بأن يصان من دنس أهل الأهواء؟!

أو ليست ثقافة الأمة جديرة بأن تصان من اللوث والتدليس والتشويه المتعمد ؟!

ألا يستحق تاريخ الأمة أن يصان من سموم الأقلام ؟!

معاقبة هذه الزمرة المتمردة على دين الأمة وتراثها

ضرورة، ومطاردتها لازمة من لوازم الأمن، لا فرق في ذلك بين الإرهاب الذي يتخذ من أوكار الثقافة المزيفة كهوفاً وحفراً ينطلق منها، و(إرهاب) مغارات الجبال والخنادق الأودية؟!

لا مكان للمتفرجين

قديماً كان يمكن أن تقع كثير من الأحداث الهامة في بقاع متفرقة من العالم دون أن نعرف شيئاً عنها، وربما كانت بعض هذه الأحداث ذات تأثير مباشر أو غير مباشر علينا، كأن تمثل إضراراً بمصالحنا أو انتقاصاً من حضارتنا، أو تطاولاً على شريعتنا، وليس أدلّ على ذلك من أننا لم ننتبه لصورتنا المشوهة نحن العرب والمسلمين التي رسختها مؤسسات الثقافة والإعلام في الغرب عبر عشرات السنين.

ولأن من لا يعلم لا يملك القدرة على الفعل، رفضاً أو تأييداً.. كان هناك مبرر لممارسة «الفرجة» والاكتفاء بفعل المشاهدة، وفي أحسن الأحوال التأييد إعجاباً، أو الامتعاض والتأفّف رفضاً.

أما الآن فالوضع يختلف كثيراً، بعدما أتاحت ثورة المعلومات والاتصالات لكل فرد في جميع أنحاء المعمورة

أن يعي ما يجري حوله، بل ويشارك برأيه بحرية لم تُتح للأقدمين، وصار بإمكانه أن يعلن رفضه لأمر، أو تأييده لآخر، وهو جالس أمام شاشة كمبيوتر، وأن يبحث عن الذين يتفقون معه ليشكلوا معاً جماعات ضغط إلكترونية، وهي جماعات لا يوجد من يستطيع أن يحجب صوتها، أو يمنع أحداً من الانضمام إليها، حيث لا مقر لها سوى عقول وتوجّهات وقناعات أعضائها، ورأينا عبر شبكة الإنترنت منتديات ومواقع يجتمع بها الأفراد ذوو الميول والتوجهات والأفكار المتقاربة، والتي يعلنون من خلالها عن آرائهم صراحة بأسمائهم أو بأسماء آخرين، بل وكثير من هذه المواقع والمنتديات تجري استطلاعات لقياس الآراء وإحصائها لتخرج بنتائج تعبر –مثلاً- عن الرفض لسياسة دولة بحجم الولايات المتحدة الأمريكية دون خوف من أن توضع على قائمة الجهات الداعمة للإرهاب، أو يُساق أصحاب هذه الآراء لقاعدة غوانتانامو.

ولم نكن نحن العرب والمسلمين بمعزل عن هذا التطور الاتصالي والانفتاح المعلوماتي، لكن لأن كثيراً منا أدمن

ممارسة «الفرجة» دون الفعل، اقتصرت استفادتنا من هذه التقنيات الحديثة على إرسال «نغمات الجوال» أو «ممارسة الانحلال والعبث» في غرفة الدردشة الإلكترونية وإطلاق «رسائل الغرام» عبر شاشات القنوات الفضائية، ومن قرر أن يدخل دائرة الفعل، وجدناه ينضم لجمعية محبي الرموز الفنية أو الرياضية عبر الإنترنت، أو يمارس الشراء عبر مواقع التسوق. ونسبة هذا «الجمهور السلبي» كثيرة في صفوفنا، وتبقى مساحات كثيرة من وسائل التأثير خالية من «الجمهور النشط» الذي يُراغم عبر قنوات الاتصال والمعلومة ليقدم رسالة الحق، ويتواصل مع «الآخر» لتتسع دائرة الخير الذي جاءت به حضارتنا للناس أجمعين.

في عالم اليوم.. لا مكان للمتفرجين الذين يعيشون على هامش الحياة، ومن ارتضى أن يكون كذلك فإنما هو كميت الأحياء.. لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً!!

صحافة «الحرس القديم»

«الحرس القديم».. مصطلح يُوصف به المقربون من «البلاط العسكري» الملتفون على صاحب السلطة.. الحارسون لشخصه..المدافعون عن كيانه.. الساهرون على أمنه.. هذا «الحرس القديم» يقوم بواجبه –أحياناً- بحكم «الوظيفة» لا بحكم القناعة بواجب الحماية.. أو الإيمان بواجب الدفاع عن صاحب السلطة.. وفي أحيان كثيرة يمارس الحرس القديم واجباته بإخلاص؛ لأن بقاءه مرتبط ببقاء من يحرسه، أو لأن مصالحه الشخصية مرهونة بسلامة البلاط.. ومن فيه.. ومن حوله!!

في بعض صحافتنا شيء من الحرس القديم.. يدير المسؤولية برؤية صاحب القرار.. ويمارس هذا الحرس مهمة «التمرير» إذا كانت متفقة مع توجُّهات النافذين في «التحرير».. ومهمة «الغربلة» أو «الحجب» أو «الحفظ إلى حين» إذا كانت لا تحقق للحرس هدفاً.. ولا تخدم له غاية..

والهدف والغاية هاهنا مرتبطان بأهواء المهيمنين على هذا البلاط.. لا بقيم المجتمع أو ثوابت المنهج.. ولا بأولويات القارئ.. أو بمصلحة المجموع..

هذا «البعض الصحفي».. تتجاذبه حالتا المد والجزر.. يتمدّدون كلما أضاء لهم نور.. وينكمشون كلما علا صوت نفذ لصحافتهم.. أو ارتفع نداء بمحاكمتهم!!

يتوارَوْن تارة.. ويسفرون تارة.. هذا التواري وذلك السفور محكوم بالخوف من بطش سلطة التحرير.. أو قطع الرزق الآتي من مداد القلم.. ولذلك تأتي رغبات هرم التحرير في الصدارة.. أما أولويات المجتمع الناجزة.. وقضاياه الملحة.. وهمومه الساخنة فتبقى حبيسة الأضابير.. ورهن أمزجة «السادة» في التحرير.. حتى يُؤذن لها أن تتقدم في طابور الانتظار.. وإذا نُشرت ألفيتها غريبة الشكل.. أو مشوّهة المعنى.. أو ممزوجة بنفس (السادة) حتى لا تكاد تجد للحرف هوية من دين.. أو للخطاب ملمحاً من قيمة.

وجود هذا «الحرس الصحفي القديم» محكوم بوجود «ملكة النحل» يدورون حولها.. ويفرزون ما يغذي لديها الشعور بالعظمة.. ويعزّز وجود الخلية!!

دعوة للتعقُل الإعلامي

(الغلو الإعـلامـي) ظـاهـرة يلحظها المتابع للرسائل الإعلامية في الوطن العربي، بكل أنواعها المقروءة و المسموعة والمرئية.

والتعبير بكلمة (الغلو) لـم يـأت جـزافـاً أو رديـفـاً أو قياساً على مظاهر الغلو في الدين، بل هو حقيقة يدركها كل من وهبه الله قلباً عقولاً يميز به بين الوهم والحقيقة، وبين الـزيـف والـواقـع. إن هـذا الإعـلام الـذي نقل إلينا مصطلحات (الغلو) و(التطرف) و(الأصولية) وألبسها لبوساً خاصاً مفصلاً على القضايا والمشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية وروّج لها لإقناع الجماهير بالمعنى المراد بها والمفهوم الذي اختير لها كان أول من وقع في فخ المغالات من حيث التعبير عنها أو العمل بها.

فالغلو ليس في الدين فقط، وليس في الفكر فقط، بل يكون أيضاً في الإعـلام حيث يتجلى هذا الغلو في أوضح

صوره وأشِكاله.

وفي صور هذا (الغلو الإعلامي) تحريف النصوص التي ينقلها هذا الإعـلام على لسان العلماء والدعاة والمصلحين في الوطن العربي، وغاية هذا التحريف المتعمد أن ينسجم مع السياسة العامة لتلك المؤسسة الإعلامية أو لا يتعارض مع السياسة التي تملى عليها. ومنهج تحريف النصوص يكون بتحوير المعنى الأصلي لها، أو بتر أجزاء منها حتى تتفق مع السياق العام المراد لها. وهذا النوع من الغلو يكثر بشكل ملحوظ في الصفحات المخصصة للتحليل الإخباري ذي الصبغة السياسية في الصحافة المقروءة بطريقة تبعث على النفور والتقزز.

ومن صور هذا الغلو (التصفيق الإعلامي) في المحافل والمناسبات السياسية، ذلك التصفيق المثقل بكل معاني التزلف والمراء والمداهنة الذي يجيده فئام من الإعلاميين حملوا على عواتقهم – بزعمهم – القضاء على الغلو بكل مظاهره في المجتمعات العربية، الذي يأتي غالباً في سياق حديثهم عن الغلو في الدين وحربهم له، وكأن الغلو لا يكون

إلا في الدين فقط. ولسنا نرى بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً بين من يغالي في حب شيخه وتقديسه والتمسح بجُبّته وبين من يتزلف إلى (الزعيم) ويعلق صورته على صدره أو يتسول على بلاطه ويستعطي عند بابه.

ومن صور هذا الغلو التهميش المقصود للمشكلات التي تعاني منها الأمة العربية وتجاهل القضايا الكبرى الموغلة في جذور المعاناة، والاشتغال بقضايا فرعية تأتي في ذيل اهتمامات المجتمع، فتجعل من قضية السحر والشعوذة – مثلاً – القضية الأولى، وكأن مشكلات الأمة قد انتهت جميعها ولم يبق إلا مطاردة السحرة والمشعوذين.

ومن صور هذا الغلو الإعلامي أيضاً المبالغة في تحليل الخبر ووصفه والتعليق عليه إذا وافق هوىً في نفس صاحبه، واستغلال ما يصدر من الجهات المختصة من قرارات وبيانات في الترويج لفكرة مكبوتة وضميمة موبوءة تبحث عن متنفس لها يبرر نشرها والتصفيق لها، فتجعل من هذه القرارات والبيانات الرسمية مطية لها، يتصدر تعليق صاحبها عليها الصفحات الأولى لتزويقها وتضليل العامة

بها. وهذا منهج تقليدي قد حذقه أقوام وجدوا أنفسهم فجأة يتسنمون منابر الإعلام ومنافذ الفكر بعد أن كانوا مرتكسين في حمأة الفن أو الرياضة، وإذا بنا نراهم يمثلون طلائع الصفوة والنخبة التي فرضت على المجتمعات العربية فكراً عميقاً أجوف لا يعرف ثابتاً ولا يفقه متغيراً.

إنها دعوة للتعقل الإعلامي في مجتمعاتنا العربية للقضاء على مظاهر الغلو في أجهزته بكل صورها وأشكالها، دعوة تنادي بترميم شامل للواجهات الإعلامية التي عفى عليها الزمن والتي سودتها الشعارات وطمست معالمها التيارات التي عصفت بالأمة العربية سنين عدداً. وما الروائح المنبعثة من هذه الوسائل إلا دليل على امتزاج قيء أصحابها بمداد أقلامهم.

إن لوازم العقل، ودواعي الفطرة، ومتطلبات المرحلة، ومنطق الحاجة، واستقراء الواقع كل ذلك يحتم استئصال الفكر الأجوف الذي عشعش وفرّخ في أجهزة الإعلام العربي واستبداله بفكر متجذر في عقيدة الأمة، يحمل الهم ويدرك الغاية، يستجيب للواقع ويتفاعل مع الحقيقة، يسمو

بالمجتمع ويحرر العقل العربي من أوشاب الزيف وأدران الجاهلية.

هذه مقتضيات الدعوة إلى التعقل الإعلامي الذي تفرضه ظروف المرحلة الراهنة، ونقيضها يجعل من هذا الإعلام اليوم وغداً ومستقبلاً عبئاً على المجتمعات العربية وعالة على شعوبها.

تقرير الخيانة

بم يذكّركم (أحمد الجلبي)؟

أجزاء صورته الذهنية عند العرب والمسلمين (الخُلّص) هي مزيج من هزيمة الذات وذوبان الهوية والتنكر للكرامة.. نتج عنها خيانة للأمة حين عاد إلى بلاده على متن دبابة عسكرية أمريكية ليرسم الخطوات الأُوَل للاحتلال: احتلال التراب.. والوطن..

بعدها وقعت الواقعة.. وذاق العراقيون، ومعهم العرب والمسلمون، طعم المأساة، وتجرعوا غُصّة الكارثة..

هل أُنبئكم بمن هو أعلى مرتبة في الخيانة.. وأنْتن نَفَساً في الدناءة.. وأكثر ولوغاً في الحقد والكراهية للأمة ودينها.. وأدهى في المكر والخديعة في التسلل إلى العقول.. وقلب الحقائق.. وتلبيس الحق بالباطل؟!

إنها قناة إخبارية عربية، ومجموعة قنوات أفلام، وموسيقى، وعامة وغيرها، وصحيفة دولية!!

هـؤلاء أشد وطـأة على الأمـة وأكثر تأثيراً في نسيجها الديني والفكري والأمنـي من أشباه «أحمد الجلبي» في الـعـراق، و «فـريـد الـغـادري» فـي سوريا، و«سعد الفقيه» و«محمد المسعري» في السعودية، المنبوذون جميعاً من قادتهم وشعوبهم ومن كل الشرفاء..في كل أرض وتحت كل سماء.

الإعـلامـيـون الـخـونـة يعيشون بيننا ومعنا مـن خلال مؤسساتهم التي يتحركون فيها وبها.. ومـن مضامينها ينخرون في جسد الأمـة بإرادتهم وبدعم الأجنبي لهم.. لقد سَرّبت التقارير أمر الدعم المشبوه لهم مادياً ومعنوياً، بالمال، وتقديم الأجـهـزة الفنية ذات التقنية العالية، ومَنْحهم الأولوية في التغطية الإعلامية، ومقابلة القادة وصنّاع القرار ليتمكنوا من منافسة (غيرهم) والتفوق عليه!! ولا يزال القائمون على هذه القنوات يتفيؤون ظلال الدعم، ويتقلّبون في نعيمه، وشرذمة تلك الصحيفة يؤدون المهمة بكل إخلاص ويقبضون الأجر بنفس حقيرة رضيّة..

في هذه (المجموعة) الإعلامية تلمح برامج العمل المعدة

في (وزارات) خارجية، لتخدم غايات محددة، منها:

- خلخلة الثابت والمعلوم من الدين بالضرورة.
- التمادي في نقد المقدس الديني عند المسلمين، والتواطؤ مع الأجنبي في ذلك.
- العزف على أوتار الظلامية والرجعية.
- الترويج لمصطلح (التنوير) ومرادفاته.
- إثارة القضايا الاجتماعية المسكوت عنها أو المتفق عليها.
- ترتيب أوليات الخبر السياسي بما يخدم (أو لا يتعارض) مع المصلحة الأمريكية.
- التسويق للنموذج الغربي في بلاد المسلمين، والدعوة إلى تطبيقه واقعاً معيشاً.

هذه بعض سمات وملامح هذا الإعلام الذي عَرّاه وكشفه (تقرير الخيانة).. ولئن جاء «أحمد الجلبي» وأشباهه من طريق واحدة، فلقد جاءنا هؤلاء من طرق كثيرة، ورمانا إعلامهم عن قوس واحدة.. يستمد زاده من مكر في الداخل وإسناد من الخارج.. فهم أشد خطراً على ديننا ووطننا من

المنافقين العرب ويهود بني قريظة..

إنهم يركضون في أزقة الوطن: قفزاً على الدين.. وهتكاً للنسيج.. وتدنيساً للتراب.. يفعلون ذلك مستفيدين من الغمامة التي غطت الأجواء.. لكننا موقنون أنها أيام فتن.. يمتحن الله فيها قلوب الصادقين، ويمحق المرتزقة الخائنين، ويهتك أستار المنافقين.. ليجعلهم في الأذلين.. ﴿ **وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾.

(٢)

مشهد المحسوبين على الدعاة

الأنوثة الفكرية

السلوك ترجمة للفكر، وكلما كان الفكر أصيلاً، خالصاً من الشوائب نقياً من العوالق، وضاحاً في الرؤية، متجذراً في المنهج أنتج ذلك سلوكاً رشيداً، وأثمر تعاملاً سديداً.

إذ صاحب الفكرة، ومعتنق المبدأ لا يرضى أن يلحق بفكرته أذىً، أو أن يشوب مبدأه عالقة من نقص أو خلل. وهذا ما ينبغي أن يكون، وهو ما كان – ولا يزال – عند أصحاب العقول الرشيدة، والمبادئ الناصعة المستنيرة، والقيم المضيئة. عند أتباع الحق وأنصار السنة المستمسكين بها في سرائهم وضرائهم.

وعندما تنخرم هذه القيمة – قيمة توافق الفكر والسلوك – وتظهر أعرض التصادم بينهما، ويبزر نتوء التناقض المريب، ويكون الفكر سلعة في المزاد، ولباساً يلبس ويخلع تبعاً للحاجة إليه، فإن حامله داخل في زمرة المصابين بمرض (الأنوثة الفكرية).

المصابون بهذا المرض تعرفهم - أحياناً بيسماهم، وتعرفهم كثيراً في لحن القول ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾. هم فئام كثيرة في مجتمعاتنا الإسلامية، مشكلتهم الكبرى أنهم محسوبون على المتدينين؟! ومصيبتهم أنهم - طوعاً أو كرهاً - ينسبون إلى الصالحين؟! إما بماضيهم، أو بهيئاتهم، أو بألسنتهم، أو بأسماء وظائفهم، أو ببعض ذلك، أو جميعه.

وهم ليسوا سواء.. بل هم مراتب ومنازل.. وطبقات ومدارج.. أدناهم من قال الله عنهم: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ وأقصاهم وأشدهم وطأة من ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ﴾.

فكم يجني هؤلاء - بعلم أو بجهل أو بمماحكة - على الدعوة وأهلها؟!

رضي الله عنك يا عمر.. يستحلف حذيفة رضي الله عنه: هل عَدّهُ رسول الله ﷺ من المنافقين.. وهو عمر ؟!

لو تدبر مرضى الأنوثة الفكرية هذا الموقف.. وتأملوا

ما فيه من الخشية والرهبة والمحاسبة لهانت عليهم الدنيا بمناصبها.. ودراهمها.. وكل حطامها. ولكن أكثر الناس لبا يعقلون.

اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك.. وأفقرهم إليك.. ولا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك.

يا دعاة الأمة... لا تكونوا كالحديث الضعيف!

العلماء هم حملة الرسالة، المبلّغون عن اللّه، وهم بذلك موضع ثقة مجموع الأمة، وآحاد المجتمع، ننتظر منهم الكثير في هذا الوقت الذي يشهد أصواتاً تتطاول على العقيدة، وتسخر من القيم.. أصوات ذات نفس ليبرالي عفن، تنطلق من كيانات علمانية مستنسخة، تنفث في أجوائنا مناهج مستقاة من حمأة موبوءة، تنخر في البناء العقدي والفكري باسم التنوير ومحاربة الجمود، تقودها أقلام حظيت بمباركة كبار الأبالسة منهم، فأفردوا لأتباعهم ومريديهم ومن سار في ركبهم مساحة الكتابة وحرية التعبير، وحجبتها عن غيرهم ممن يمثلون ضمير الأمة وهوية المجتمع، هذا الزحف الليبرالي المسنود بدعم إعلامي يحتاج إلى وقفة مشهودة من العلماء والدعاة؛ ليقولوا كلمتهم الصادقة الناصحة في شأنهم.

ننتظر منكم أيها الدعاة أن تبيّنوا خطرهم وعظيم أثرهم

لمن يملك قرار وقف تمردهم والحد من زحفهم، وننتظر منكم أن تضاعفوا من الجهد لتحديد موقف الأمة منهم، فلقد يسر الله لكم من وسائل التقنية للقول الفصل فيهم ما لم يتيسّر لأسلافكم، وإن كلمتكم ستبلغ فيها ما بلغ الليل والنهار.

يا دعاة الأمة.. لا تكونوا في وقفتكم تجاه هذه الشرذمة الليبرالية مثل الحديث الضعيف الذي لا يُؤخذ به إلا في باب الترغيب والترهيب، فلم يعد ينفع مع هؤلاء حديث زهد ولا موعظة، وقد آن الأوان أن يُقوّي بعضُكم بعضاً، ويعضد بعضُكم بعضاً، ويصل حديثكم متواتراً إلى من كلمته أقوى من أحاديث الترغيب والترهيب.

وإن من أهم وسائل التقوية والمعاضدة ليُحتجّ بقولكم عند من لديه القول الفصل أن تضاعفوا من الرصد والتحليل لما يُنشر من تلك الفئة عن ديننا وعقيدتنا ووطننا، وأن تتقدموا به إلى أهل القرار، ليعلموا أن الليبراليين وأهل الفجور الفكري والعلمنة الثقافية إنما هم شجرة خبيثة في بيئة طاهرة يجب أن تُجتثّ من فوق الأرض، ولا يكون لهم في مجتمعنا قرار، فهذه أولى وأهم مراحل المفاصلة مع القوم بكل صورها.

نخبة (الشرك الخفي)

مشهد المحسوبين على طلبة العلم والمثقفين وهم يمارسون عملية الخطو الحثيث، بل الركض السريع، والتسابق المحموم للحصول على مقعد في طابور الوجاهة الاجتماعية بلغ المنتهى في الاستهزاء بالوقار، والسمت، وتجاوز حدود الأدب، وفي نسف كل خصلة من خصال المروءة التي هي حلية كل من ينتسب إلى فئتهم.

إن فئاتاً من هؤلاء تقدم لجيل الناشئة من أبناء المسلمين نماذج في الشخصية الممسوخة، الممرغة في مستنقعات التذلل والمحاكة والمداهنة، ودروساً في كيفية الانصهار.

مبدؤها معروض في المزاد، وثوابتها تقبل المساومة.

لأتباعها أقنعة يفرضها السياق، أقنعة من نوع: (الشرك الخفي) يستحيل على جنسها – بله غيره – أن يعي طلاسمها، ويدرك مبتغاها، ويبصر ما وراء حجبها.

هم – فيما بينهم – يجيدون تبادل الأدوار، وإن كانوا

– في قرارة أنفسهم – غير مقتنعين بطريقة العرض وآلية التقديم.

وهم – مع غيرهم – خيار هذا الغير، الخيار المفروض عليه، والبديل الآخر الذي يختلف معه، والفرق بين هذا (البديل) وذلك (الآخر) هو في مدى القابلية للتفاوض على المبدأ، والمساومة على المعتقد، والمزايدة على الثوابت.

التدافع بالأكتاف والأكعب.. من المستفيد ؟

الولوغ في الأشخاص والهيئات مسلك ذميم.. ومن ظلم النفس والآخرين أن تكون هذه الصفة دأب صاحبها، إما عن غفلة أو قصد، وكلاهما مر.

وهذا المسلك المشين يلحظ على أخلاقيات بعض المحسوبين على الصالحين

فإذا اغتنى أحد بمال.. استكثره عليه، وتساءل:

من أين له ؟

وكأن الغنى حكر على غير الصالحين، وغاب عنه: ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء** ﴾ ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾.

وإذا عمل معه آذاه ووشى به، وتجنى عليه بالثلب والسلب، وزاحمه بالأكتاف والأكعب، وكأن المكان لا يتسع إلا له، وغاب عنه:﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾.

إن التدافع بالألسنة والأكتاف والأكعب لا يكون إلا في الخير وللخير، أما أن يدور في فلك المنفعة الشخصية أو المصلحة الذاتية فيقترف صاحبه لأجله خطيئة، أو يكتسب إثماً، ويتجاوز ضرره النفس إلى الغير، فهو أمر يستدعي تهذيب النفس وصقلها، وربما عسفها وأطرها على الحق راغمة وصاغية.

صح عن النبي ﷺ أنه قال: (.. إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). وسلامة القلب علامة خير عظيم ونبوءة أجر كبير، وقد أخبر النبي ﷺ عن أحد الصحابة أنه من أهل الجنة، فلما تقصّى صحابي دأبه في ليله ونهاره لم يجد كثير عمل غير أنه يمسي ولا يجد في قلبه على أحد شيئاً.

التُّقى والصلاح لا يُحلان التجني على الآخرين وإيذائهم والنيل منهم، ولن يكونا شفيعين لصاحبهما أن يلغ بلسانه في سيرهم أو يجد في نفسه شيئاً عليهم، بل حري بمن هو في عداد الصالحين أن يكون التقى والصلاح سياجين يحميانه من الإثم وأسباب الخصومة والبغضاء، التي لا

تضر ولا تنفع، وتفرق ولا تجمع، وأكبر الضرر أن يتعدى الأشخاص إلى مؤسسات الخير والدعوة.

ومعنى أن يصدر ذلك كله من الدعاة الصالحين هو تجريح للنماذج، وتهافت للرموز.

الخاتمة:

متى نسمو إلى مكانة هذا الوطن؟

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ابتدأت الولايات المتحدة تنفيذ مخططاتها الإستراتيجية لإعـادة هيكلة العالم الإسلامي وفق مصالحها الأيديولوجية والاقتصادية. ابتـدأت مرحلة التنفيذ بإسقاط الحكومة القائمة في أفغانستان، ثم بدأت مرحلة الدعاية السياسية لتهيئة الرأي العام العالمي للغاية الكبرى: احتلال العراق وإسقاط بغداد. قبل الاحتلال، أُعدت سيناريوهات سياسية وعسكرية لقبول الحالة، كان أبرزها ذريعة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وكانت الكذبة الدامية لوزير الخارجية الأسبق كولن باول التي أعلنها في هيئة الأمم المتحدة بتأكيد الشواهد على هذه الكذبة التي اعترف بها وندم عليها بعد استقالته.

بعد سقوط بغداد تغير سيناريو الخطاب السياسي والإعـلامـي ليتحدث عن الشرق الأوسـط الكبير، ونشر الديموقراطية، والترويج لمفهومات كثيرة، أهمها: إرساء العدالة، وتعزيز حقوق الإنسان، وإشاعة التسامح، ونبذ الكراهية، وتحرير الـمـرأة، وتفعيل مؤسسات المجتمع

المدني، وتشجيع (الإسلام الليبرالي)، وغيرها من ذرائع لا تقل في حقيقتها عن كذبة كولن باول الدامية.

قبل احتلال العراق كان المثقفون السعوديون يتحدثون عن تداعيات هذه الأحداث، ليس على أفغانستان، أو العراق فحسب، بل حتى على بلادنا، عقيدة، وحكومة، ومؤسسات، وأفراداً وشعباً. لا زلت أتذكر حديثاً غابت عني تفاصيله وبقيت خلاصته، قبل خمس سنوات قال أحد المثقفين الذين يقرؤون الواقع ويتنبؤون بالمستقبل: إن الغرب سيواجه العالم الإسلامي ويناور على محورين:

المحور الأول: عسكري اقتصادي يتمثل في احتلال العراق ونهب ثرواته وتغيير بنائه السياسي والعسكري ليخدم الإستراتيجية العسكرية للغرب، وقد كان.

أما المحور الآخر: فإنه ثقافي معنوي، سيتوجه بقوة إلى السعودية بوصفها مركز الثقل الروحي للعالم الإسلامي، وقبلة أهل السنة والجماعة، وحاضنة الحرمين الشريفين، وراعية شؤون المسلمين في العالم، وقد كان.

تعرضت بلادنا إلى هجمة سياسية وإعلامية شرسة،

طالت القيادة، والشعب، ومؤسسات الدولة الشرعية، والتعليمية، والسياسية، والإعلامية، والخيرية، وغيرها، ولا تزال هذه الهجمة الظالمة مستمرة، وإن خفت وتيرتها، وخبت جذوتها شيئاً قليلاً.

كان المفترض - بمنطق الدين والعقل والوطنية- أن ينبري المفكرون والمثقفون والإعلاميون لمواجهة هذه الحملة الغربية الظالمة على بلادنا، وقد شهدنا شيئاً من ذلك على مستوى الأفراد والمؤسسات المعنية، ومن الطبيعي والحالة هذه أن يتداعى النخب والمثقفون لحراسة الثوابت التي قامت عليها هذه الدولة (الدين والوطن والأسرة الحاكمة) حتى تقوى الجبهة الداخلية وتتماسك، ووحدة الداخل وتماسكه أول وأهم مراحل المواجهة الشاملة، بيد أننا شهدنا من بعض المثقفين من أحدث خروقاً في هذه الجبهة، وركب من حيث يدري أو لا يدري موجة العداء للوطن وثوابته، فأصبحنا نحارب - فكرياً - على جبهتين: عدو من الخارج لا يزال (يقصف) البناء، وعدو من الداخل ما فتئ (ينخر) بهدوء معلن أو بدهاء ومكر مبطن تحت الأركان.

ولئن كان الغلو في الدين أحدث أثراً ظاهراً، فإن التفريط في الدين وتبني التوجهات الفكرية والثقافية الغربية على نسيجنا الاجتماعي لا يزال يحدث أثراً خفياً ينخر ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً ليقوض البنيان. هذا النوع هو من تضامن مع الغرب ليغير وجه الدولة والمجتمع، وإن العاقل ليتملكه العجب ويحتار: كيف لمن ينتمي إلى مثل هذه البلاد: بعقيدتها، وحكومتها، وشعبها أن يكون متحرفاً إلى قوم أو متحيزاً إلى فئة أو أرض دون وطنه وقومه وأرضه؟ أي خذلان أشد وأنكى من أن يتنكر المرء لدينه وقومه؟!

هذا الوطن له مكانة سامية في نفوس أبنائه والعرب والمسلمين.. هذا الوطن كبير: بعقيدته وقيادته، وعلمائه، وشعبه. لو كان هذا الوطن لغيرنا من شعوب العرب والمسلمين: بمقدساته، ومؤسساته الشرعية، ونظامه السياسي، واستقراره الأمني، وإيمان مواطنيه، وصفاء عقيدة شعبه، ورغد العيش لعضوا عليه بالنواجذ، ولبذلوا الغالي والنفيس دفاعاً عنه، وحمية لثوابته وثرواته.

إن اختلاف الرؤى ليس مذموماً بعينه إذا كان اختلاف

تنوع، أما المذموم والمستنكر أن يكون اختلاف تضاد يجني الوطن وأهله ثماره المرة، ولئن كان الدفاع عن الوطن وثوابته واجباً على كل من ينتمي إليه، فإنه يتأكد في حق النخب والمثقفين.. فمتى نسمو إلى مكانة هذا الوطن؟!